

ميثاق حق دماء المسلمين

عبد الحمود أبو:

ميثاق الأنصار يعبر عن الحكمة المطلوبة الآن لحقن دماء المسلمين وإيقاف الشقاق بينهم

March 5, 2012



(حريات)

نظمت هيئة شئون الأنصار احتفالاً حاشداً بالمولد النبوي مساء أول أمس السبت 3 مارس، وقد خاطب الاحتفال الإمام الصادق المهدي بكلمة نشرتها (حريات) أمس، إضافة لصحيفة أهل القبلة التي نشرتها (حريات) كذلك، وقدمتها الهيئة للجماعات الدينية التي حضرت بكثافة من طرق صوفية بمختلف الجماعات وأنصار السنة والحركة الإسلامية وحزب الوسط الإسلامي، وقد احتوى الاحتفال على مدائح نبوية في بداية الحفل من مادح الأنصار زين العابدين أحمد عبد القادر، واختتم بأغنية (عزة وعزة) أداء فرقة صالون الإبداع بالهيئة. وما بينهما كانت الكلمات التالية:

الشيخ د. إسماعيل عثمان الرئيس العام لجماعة أنصار السنة الحمديدية بالسودان بدأ كلامه مثنياً على الاعتصام بحبل الله والوحدة، وقال إن حب النبي صلى الله عليه وسلم دليل على محبة الله وهي محبة نظهرها ووفاءها يكون باتباعه صلى الله عليه وسلم، فهذا هو الاحتفال الحقيقي به صلى الله عليه وسلم. وشكر هيئة شئون الأنصار لدعوتها لهم وقال: إن لنا علاقة خاصة مع الهيئة ومع حزب الأمة خاصة، ونحن نعجبنا بمظهر الأنصار ومظهر القوة والفتوة التي هي من مظاهر الإسلام ولنا علاقة متميزة على مر التاريخ بالأنصار حيث كانوا يتعاونون معنا دائماً في الدعوة لله تعالى وبيننا وبينهم التناسخ والتعاقد والتعاون، رغم أننا ننهل من فقه ما علمنا الله تبارك وتعالى الاحتفال بالمولد على هذه الهيئات، لم يرقم به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرقم به صحابته الأطهار ولذلك نحن نبين هذه المعاني التي نفهمها من الكتاب والسنة. نعم وحدة المسلمين واجب يجب أن نسعى إليه جميعاً ويقض مضاجعنا هذا التفرق. والاتفاق أسبابه لا تحصى ولا تعد ونحن مع هذا المشروع مشروع وحدة أهل القبلة وقد طرحت علينا هذه الوثيقة التي لنا عليها ملاحظات نقبل منها الكثير ونقف مع الكثير. وسنوصل المعاني كتابة. ونحن ندعو لأن نطرح المتفق عليه أما ما فيه رأي خاص فتتوقف حتى يحدث الاتفاق فقد ورد أننا نقبل القطعي وروداً فقط من النصوص ولكن جل هذا الدين يقوم على الظني لأن الأحاديث المتواترة قليلة. الدعوة لله حددها الله سبحانه بقوله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، والعنف وسيلة العاجز فمن يعدم الحجة يلجأ للعنف ونحن في جماعة أنصار السنة لا نرى العنف وسيلة للدعوة وظللنا ندعو قرابة القرن بالحسنى؛ لأننا في بلد يحتاج للوحدة والتعاون والتناصر. فليمتد فقها للتعاون حتى مع غير المسلمين ولنا أسوة في مدينة الرسول (ص) حيث كانت الأغلبية مسلمة وكان غير المسلمين يجدون الاحترام والتقدير ولهم حقوقهم، واذكر مثلاً أن النبي (ص) توفي ودرعه مرهونة عند يهودي، ما يدل على أنه كان لهم حرية الاقتصاد، حتى أن رئيس الدولة بلغة العصر لم يأخذ من اليهودي مالا إلا مقابل هذا الرهن وحينما جاء الخليفة الراشد أبوبكر لم ينتزع الدرع عنوة وهذا دليل على حرية غير المسلمين في بلاد المسلمين. نحن نرى أن ما يقوم به كثير من المنتسبين للإسلام من التطرف والعنف بلا حجة ولا دليل وفي غير بلاد المسلمين أمور لا تجوز لأن الصحابة حينما هاجروا للحبشة وكانت على النصرانية عاشوا واحترموا القوانين الموجودة وقدموا دعوتهم بسلام حتى أسلم النجاشي رحمه الله.

قضية التكفير قضية كبرى وهي من القضايا التي ركز علماء العقيدة على التحذير منها وعلى عدم التجرؤ عليها. وهي من القضايا التي يجب أن يترث فيها الناس. ولكن أذكر السيد الإمام الصادق والجمع المبارك أننا لا نثير قضايا قد تكون من الحريات كقضية النقاب فان تغطي امرأة وجهها هذه حرية ولكن لا يفرضوا رأيهم على الآخرين. إننا نعتز بصدقتنا وعلاقتنا بالسيد الإمام يزورنا كل ما دعوانه أو من يمثله ونحن حريصون على العلاقة بكل المسلمين في السودان وفي غيره وبغير المسلمين في بلدنا هذا.

ثم تحدث الشيخ عبد الجبار الشيخ بلال من المجلس الأعلى للتصوف ومن شيوخ الطريقة السمانية الطيبية القريبية، وقال إن هذا الجمع محب لرسول الله (ص) والثورة المهدية ثورة جهادية خرجت الأبطال الذين نشروا الدين وأسسوا المساجد والخلوى في جميع أنحاء السودان. وحول أمر وحدة المسلمين أكد أن النبي (ص) يقول: المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتن أي الشيطان وفي رواية على الفتن أي جمع فتن. بلادنا الحبيبة تمر بمرحلة عصيبة تتطلب من قادة الفكر والسياسة كالأمام الصادق المهدي أن يعملوا على إخراج البلاد من هذه المحنة. نحن دعاة سلم وسلام وأمن وإيمان لا دعاة حرب ولا تفرقة ولا عنصرية وإنما أهل التصوف يعملون على جمع المسلمين في صعيد واحد متأسين برسول الله الذي جمعت دعوته بين بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي فهي دعوة شاملة فأهل التصوف يجمعون الناس بمختلف سحناتهم ولهجاتهم ولغاتهم وقبائلهم يعبدون الله تعالى، والله در القائل:

فلو درى القوم بالسودان أين هم
من الشعوب قَضَوْا حزنًا وإشفاقا
جهلٌ وفقرٌ وأحزابٌ تعيثُ به
هدَّت قوى الصبر إرعادًا وإبراقا

إن التحزُّب سُمٌّ فاجعلوا أبدأً يا قومُ منكم لهذا السِّمِّ ترياقاً

ضموا الصفوف وضموا العاملين لها لكي تنبروا لهذا الشعب آفاقاً

ما أحوجنا لوحدة الصف في هذه المرحلة العصبية كتابنا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة فليعذر بعضنا بعضاً على الاختلاف في الفروع. هذه بادرة كريمة تعمل على جمع أهل السودان مع تناسي الجهويات والعصبيات حتى نخرج إلى بر الأمان فإن إسرائيل وغيرها من الدول الغنية تحسد سوداننا على عقيدته. نحن نبارك هذه المسيرة التي تدعو لوحدة الصف وتدعو الله سبحانه وتعالى لهم السداد وسنعمل في المجلس الأعلى للتصوف مع جميع الطرق الصوفية على مناقشتها وعلى التوقيع عليها.

ثم تحدث الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد القيادي بالحركة الإسلامية شاكراً هيئة شئون الأنصار على حشد أهل القبلة في السودان لينطلقوا فيما بعد لتوحيد هذه الأمة وجعلها تسير على صراط الله المستقيم، فهي أمة واحدة وربما واحد، كل خلاف فيها وشقاق وانحراف عن وحدتها لا يمثل أمر الله سبحانه وتعالى في وحدة الأمة. وقد رسم سيد المرسلين طريقاً مضيئاً ونهجا منيراً أنه يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه، أسأل الله أن يجعلنا ممن يتبعه على بصيرة، وكلمة البصيرة أوسع من كلمة العقل وأوسع من كلمة البصر ومن جميع الوسائل، فالدعوة على بصيرة يؤيدها ما جاء في سنة النبي (ص) وما نزل في القرآن فلا العلم وحده ولا الفقه وحده ولا الفلاح وحده كافياً للدعوة إنما أن تكون على بصيرة وهذه البصيرة مقرونة بالحكمة، لأن هدف الرسالة التي كلف بها استجابة لدعوة إبراهيم أن يعلمهم الكتاب ويزكيهم ويعلمهم الحكمة، فالدعوة لا تكون إلا بهما ومن الحكمة أن يتحد الناس ويتسامحوا ويتفакروا ويتحاوروا ويتحابوا ويتوافقوا، وكل هذا لا يأتي إلا بميثاق أخذته الله علينا في بداية عهد الإسلام، ونأخذته الآن في ظروف هذا العصر والافتراق والاستهداف والتحدي الذي يواجه الدعوة. وقال: شكراً لك يا أخي الصادق على تدوين هذا الميثاق وكتابته وأعدك أننا في الحركة الإسلامية قمنا من قبل على ميثاق وكونا جبهة الميثاق على ميثاق اتخذناه، فإذا جاء الميثاق الجديد أعم وأشمل يضمنا وغيرنا فنحن حريصون أن نتخذه منهاجاً، أعدك سوف نتدارس هذا الميثاق وسوف نقف على ما فيه نضيف إليه ما عندنا ونشير إلى ما ليس عندنا ونتفق على وفاق وكرامة وحوار يكون ديدنا بيننا وبين أهل الميثاق جميعاً أسأل الله أن يجعلها دعوة مباركة خالصة لوجهه وأن يوفق كل من يدعو إلى وحدة المسلمين ويؤيد كلمة الله سبحانه وتعالى.

ثم تحدث الشيخ علي هاشم السراج الذي قال إننا ونحن نحتفل بميلاد النبي المهدي صلى الله عليه وسلم في بقعة الإمام المهدي وفي هذا المكان الذي تضمخ بدماء الشهداء في 1970 بودنوباوي نخيكم من هنا من مكان الهجرة، وحينما نتحدث عن ميلاد النبي وأخلاقه يجب أن نقف إجلالاً لأعظم رجل عرفت دولته بأعظم الثورات في العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر وهو الإمام

محمد أحمد المهدي الذي كان اسمه من اسم رسول الله وهديه من هديه وخلقه من خلقه كون مدينته على نسق مدينة رسول الله، ووزع أنصاره كما فعل رسول الله إلى مهاجرين وأنصار. الإمام المهدي وحد القبلة والناس والتف حوله الصوفية وقد ترعرع في كنف السادة الصوفية السمانية احتواهم واحتووه رفع لواءهم في الجزيرة أبا حينما أرادت الحكومة آنذاك أن تحترقه رفع اللواءات: لا إله إلا الله الجيلاني ولي الله، لا إله إلا الله الدسوقي ولي الله، لا إله إلا الله الرفاعي ولي الله، لا إله إلا الله البدوي ولي الله، لا إله إلا الله محمد المهدي خليفة رسول الله. وسار على هدي نبيه. اتخذ كهفا تعبد فيه الله سبحانه وتعالى كما تعبد النبي في غار حراء. نظم غزوته في الجزيرة أبا وهي مشابة لغزوة بدر الكبرى في هندستها وفي إخراجها وفي نارها وفي نورها. هو المهدي لأن الله هداه والمهدي لأن الله هدى به قوما فأخرجهم من الظلمات إلى النور ووحدهم. وجاء حكيم أمة السودان الإمام عبد الرحمن ووحد أهل القبلة في السودان جميعا. هكذا المهدي لم تكن حقبة انتهت بل هي عقيدة ومنهج ودستور باقية إلى أن تقوم الساعة ولن يقوم لهذا السودان عزته ومكانته إلا بإحياء منهج المهدي المتمثل في وريثه الإمام الصادق الصدوق فهو صادق في نفسه صدوق في أقواله وصديق في أفعاله. هذه الدعوة التي أحيها امتدادا لدعوة الإمام المهدي يجب علينا أن نتناقش فيها، ونريد أن نناقش أخواننا من أنصار السنة قال الله: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)، لم يقل الله وما تركه ولكن قال وما نهاكم فليست البدعة ما لم يفعلها النبي والسلف ولكن البدعة هي ما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". هذا الحديث يفتح باب المصالح المرسلة والإحسان والعرف لأن مفهومه من أحدث في ديننا وهو منه فهو حق كما ذكر الإمام بن حجر العسقلاني والألباني وغيرهما.

وتحدث بعد ذلك الدكتور يوسف الكودة رئيس حزب الوسط الإسلامي وقال إننا أمام عمل عظيم دعانا إليه سماحة الإمام الصادق المهدي وهيئة شئون الأنصار أرجو ألا ينتهي هذا العمل العظيم باحتفائية ولا بد أن يتابع من الجميع، فهو يسعى لتفعيل دائرة المتفق عليه الواسع ولكنه غير مفعّل فالعمل حركة جادة لتفعيلها، وللأسف نحن جميعا مقصرون وبدلا عن تفعيلها نجدنا نكسر للخلاف الذي يضعف الأمة وهي عظيمة وعددها كبير وهي الآن أكثر عددا من كل الأديان وأعظم قوة اجتماعية هي الإسلامية ولكنها ضعيفة يضعفها ما نحن بصدد علاجه الآن. فهو ليس مجرد استحباب أو مندوب أو مباح بل هو واجب يعاقب الشرع على تركه. ومن يقول إننا لا يمكن أن نجتمع لأننا مختلفون ويشترط أن يأتي للناس إلا بعد أن يوافقوه في بعض القضايا فإن التآلف لا يكون إلا بعد التخالف. ونحن مأمورون بوحدة الصف ولسنا مأمورين بوحدة الرأي ومن الأحكام ما نجد فيه أعدادا كبيرة من الآراء في مسألة واحدة نجد سبعة آراء فمن الكياسة والفتنة ألا نضيع الوقت في البحث

عن الازماع في مسائل لا تقبل الازماع بطبعها ولا تقبل الازماع على الوسيلة أو على الرأي نحن مطالبون على اختلاف مشاربنا أن نلتقي فيما يسمى أهل القبلة وإذا لم يلتق المسلمون فهم محاسبون فالأمر ليس من المستحبات بل من الواجبات نحن أمام واجب عظيم ونشكر أخوتنا في الأنصار وهذا ديدنهم لا بد من أن نرعى هذا الأمر ونستمر فيه ونوفر أجواء الوثام. سفيان الثوري كان حينما يدخل الكوفة يحدث بمناقب علي، وعندما يدخل منطقة أخرى فيها أنصار عثمان يحدث بمناقب عثمان، فلماذا حينما ندخل مناطق أخوتنا الصوفية لا نتحدث عما يحبون، والمتصوفة حينما يدخلون مناطق أخرى لا يتحدثون عن ما يحبون أهل المذهب الفلاني ويكون هذا مدخلا لهم. نحن مطالبون بان نوفر الوثام. أختم بان هذا الذي أنتم تجتمعون عليه الآن هو واجب والواجب في علم أصول الفقه يقتضي الفعل ويعاقب فيه على الترك.

ثم تحدث مولانا الشيخ حسن أبو سبيب الأمين العام لهيئة شئون الختمية. وخاطب الإمام الصادق المهدي قائلاً: لقد حملت هذه الرسالة وأديت هذه الأمانة وجمعنا في هذا المكان الطاهر مكان الجهاد، ونحن إذ نحتفل في هذا المكان بميلاد المصطفى (ص) إنما نحتفل برسالة الإسلام والتراث العظيم الذي جاء به المصطفى (ص). نحتفي برسالة الحق والعدل والإيمان التي جمع أهل السودان عليها الإمام المهدي من كل قبيلة كانوا امراء يمثلون وحدة أهل السودان ورسالة القرآن أدوها أمانة وصدقا وتربية وسلوكا. نحن الآن في سوداں يتمزق في سوداں مستهدف ليس له إلا أن يتجه صوب الوحدة التي تجمع الناس جميعا من أجل هذا السوداں، من أجل إزالة الظلم والمعاناة والطغيان والاستبداد وان يكون السوداں حرا أبيا مستقلا. نحن نريد أن نلتف حول رسالة الإسلام كما قال المصطفى (ص): "أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدَوِّرُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ. أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِنَفْسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، فَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَحُمِلُوا عَلَى الْحَشَبِ، وَالَّذِي نَفْسَ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمُوتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَتِهِ».

نحن نريد أن نلتف حول هذه الرسالة وأن نقف جميعا حول هذا الميثاق الذي استمعنا له وأنت أيها الإمام الصادق عرفت بالنضال وبالجهاد وبكلمة الحق وبأن هامتك لن تنحني لطاغية ولا لظالم أنت أهل لأن تحمل الرسالة التي حملها الإمام المهدي والإمام عبد الرحمن والإمام الصديق. أذكر أنه في مسجد الخليفة ويوم تأبين الإمام الراحل إمام الإسلام السيد عبد الرحمن قال المحجوب كلماته القوية وكان في ذلك الجمع الإمام الصديق يتوسط الذين جاءوا السوداں في غفلة من الزمان الذين جاءوا

ليحكموا السودان على أسنة الرماح ليس على الديمقراطية ولا الحرية أبداً، لم يأتوا من صلب هذا الشعب ولا من الحرية، هناك وقف المحجوب وأشار إلى السيد الصديق وقال:

فيا أبا الصادق الصديق أنت لها	بعد الامام ونحن الجحفل اللجب
فإن تشأ غدت حمراً صوارمنا	عند اللقاء ونار الحرب تلتهب
لا بارك الله في الدنيا يكدرها	ذل القيود وتغشى أهلها الحجب

ثم تحدث الشيخ محمد مصطفى الياقوتي وزير الدولة بوزارة الأوقاف وحمد دعوة الوحدة وقال إنهم في الوزارة يشجعون الحوار بين الكيانات الدينية في البلاد: الحوار الإسلامي الإسلامي والحوار الإسلامي المسيحي، وقد نظموا مؤخرًا منبرا للحوار شاركت فيه هيئة شئون الأنصار بورقتين واحدة قدمها الشيخ عبد الحمود أبو كعالم وأخرى قدمها الشيخ محمد الحوار تمثل رؤية هيئة شئون الأنصار، ووعد بدراسة الصحيفة وجعلها إحدى الأوراق في الحوار الإسلامي الإسلامي الذي يزمعون إدارته.

ثم تحدث الشيخ عبد الحمود أبو الأمين العام لهيئة شئون الأنصار الذي شكر الجميع على تلبية الدعوة وحرصهم على المشاركة والصبر والاستمرار رغم تجاوز الزمن، مؤكداً أن الصحيفة مبادرة لجمع الصف المسلم ليس لمواجهة الآخرين ولا الاستقطاب ولكن خدمة الدعوة إلى الله بكل تجرد وحشد طاقات الأمة من أجل المصلحة الإستراتيجية والعليا التي نعمل من أجلها جميعاً. وقال إن اللجنة المختصة التي قدمت الصحيفة للجماعات والمفكرين والمؤسسات سوف تستمر وتستفيد من الملاحظات وتتابع الجماعات الأخرى لتكلف مندوبين لمناقشة الصحيفة ثم تسوق للمسلمين ونقدمها أيضاً لزملائنا لأن لدينا شبكة معهم في جميع أنحاء العالم فهم مهمومون بالغلو الذي انتشر في كل أنحاء العالم بمسببات بحمد الله بدأت تتلاشى (مشيرا للقهر وثورات الربيع العربي). وأكد أن الصحيفة هي الحكمة المطلوبة الآن لحقن دماء المسلمين ووقف الشقاق بينهم.